جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

مبادئ جمع القرآن وعلاقته بالتحريف عند المدونات التفسيرية وموقف العلامة الطبطبائي منها

Principles of compiling the Qur'an and its relationship to distortion in the interpretive texts and the position of Allamah Tabataba'i on them

حسن خلف نعيمه
Hassan Khalaf Naima

م.م علي عبد اله زاده
Asst.Lect. Ali Abdollahzadeh

د.محمد رضا ملا نوري
Dr. Muhammad Reda Mulla Nouri

جامعة الأديان والمذاهب/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Religions and Sects / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية : جمع القرآن الكريم , التحريف , المدونات التفسيرية.

Keywords: compilation of the Holy Qur'an, distortion, interpretive corpora.

الملخص

إن جمع القرآن الكريم من المسائل التي اختلف حيالها المسلمون , بين من يرى أن القرآن قد جمع في عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم ,مستندا على روايات تحث على قراءته أو التمسك به، وهو كذلك الثقل الأكبر، فلا يمكن أن يغيب النبي من دون أن يجمعه ويدونه , وآخر يعتقد أن جمعه كان على عهد الصحابة، متكئا على روايات ووقائع تاريخية.

وإذا كان المسلمون مختلفين في جمعه إلا أنهم متفقون على صيانته من التحريف؛ فهو معجزة نبيهم الخالدة، فلا بد لها من الصيانة والابتعاد عن العبث.

Abstract:

The compilation of the Holy Quran is a matter over which Muslims have differed. Some believe that the Quran was compiled during the era of the Prophet (peace and blessings be upon him and his family), based on narratives that encourage its recitation and adherence to it. It is also the most important text, and the Prophet could not have passed away without compiling and recording it. Others believe that it was compiled during the era of the Companions, relying on narratives and historical events. While Muslims differ on its compilation, they agree on its preservation from distortion. It is the eternal miracle of their Prophet, and therefore it must be preserved and protected from tampering.

المقدمة

إن موضوع جمع القرآن من الموضوعات التي يتذرع بها القائلون بالتحريف فكان من الضروري ان يعقد هذا البحث تأكيدا لصيانة القرآن من التحريف وتنزيهه عن نقص أو أي تغيير إذا كانت مسألة صيانة القرآن الكريم من التحريف من المسائل التي كانت محط اتفاق بين المسلمين، إلا أن مسألة جمعه في مصحف واحد كانت إحدى مسائل الاختلاف، إذ انقسموا بين من يرى جمعه في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبين من يرى أنه قد جمع في زمن الصحابة، إلا أن تم على نحو نهائي في عهد الخليفة الثالث.

المبحث الاول : جمع القرآن وعلاقته بالتحريف في المدونات التفسيرية

جمع القرآن يعني توحيد الآيات والسور القرآنية في مصحف واحد جامع، ويشمل تدوين النصوص القرآنية وتوثيقها. وقد مر جمع القرآن بعدة مراحل بدأت بترتيب الآيات والسور في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم جمعه في عهد أبي بكر، وأخيراً توحيده وإقراره بصيغة موحدة في عهد عثمان بن عفان[1].

اعتمد جمع القرآن على عدد من المبادئ الأساسية التي هدفت إلى ضمان دقة النص القرآني وموثوقيته، ومن أبرز هذه المبادئ التوثيق بشهادة الصحابة: خلال جمع القرآن في عهد أبي بكر، كان يعتمد على الصحابة الكرام الذين شهدوا نزول الآيات وعاصروا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك للتأكد من صحة النصوص وضبطها. وقد اشترط وجود شاهدين من الصحابة لكل آية تم تدوينها، مما زاد من دقة الجمع وأكد على موثوقية النص[2].

التدوين على يد كتاب الوحي: تمّ تكليف كتّاب الوحي، وخاصة زيد بن ثابت، بجمع القرآن، وكان زيد معروفًا بحفظه وإتقانه لكتابة الوحي. هذا الاعتماد على الكتبة الثقات ساهم في تحقيق نصّ دقيق وخالٍ من الأخطاء[3].

الاعتماد على القراءات المتواترة: أثناء جمع القرآن، تم اعتماد القراءات التي نقلها الصحابة بالتواتر، وذلك لتجنب الاعتماد على القراءات الشاذة أو الفردية التي قد تحمل احتمالات التغيير أو التحريف[4].

التوحيد في مصحف واحد: عمل عثمان على توحيد الأمة الإسلامية على مصحف واحد، وأمر بحرق النسخ الأخرى التي قد تحتوي على قراءات مغايرة. هذا التوحيد أرسى دعائم الوحدة بين المسلمين ومنع التحريف في النص القرآني[5].

نقلت النصوص التاريخية والحديثية أن جمع القران كان بأمر من ابي بكر بعد ان قتل سبعون رجلا من القراء في بئر معونة، واربعمائة نفر في حرب اليمامة، فخيف ضياع القرآن وذهابه من الناس فتصدى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب والرقاع واللحاف ومن صدور الناس بشرط ان يشهد شاهدان على انه من القران هذا كل من كتب في موضوع جمع القران[6]، والحقيقة خلاف ذاك فأول من قام بجمع القران بعد وفاة النبي صل الله عليه واله وسلم مباشرة وبوصية منه صل الله عليه واله وسلم هو الامام علي بن ابي طالب(صلوات الله عليه) قال الامام الصادق عليه السلام: قال رسول الله صل الله عليه واله وسلم لعلي عليه السلام: يا علي القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه[7]. ثم قام بجمعه زيد بن ثابت بأمر من ابي بكر، كما قام بجمعه كل من ابن مسعود وأبي بن كعب وابي موسى الاشعري وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم حتى انتهى الامر الى دور عثمان فقام بتوحيد المصاحف وارسال نسخ موحدة الى اطراف البلاد وحمل الناس على قراءتها [8]، وكان جمع علي عليه السلام وفق ترتيب النزول :المكي مقدم على المدني والمنسوخ مقدم على الناسخ مع الإشارة الى مواقع نزولها ومناسبات النزول، قال الكلبي: لما توفي رسول الله صل الله عليه واله وسلم قعد علي بن ابي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، وقال عكرمة: لو اجتمعت الانس والجن على ان يألفوه كتأليف علي بن ابي طالب عليه السلام ما استطاعوا[9].

إن جمع القرآن الكريم من أهم القضايا التي شغلت العلماء والمفكرين على مر العصور، فهو يتضمن عملية توحيد النصوص القرآنية وحفظها من التحريف والتغيير، ولا بد من التأكيد على أن جمع القرآن لم يكن مجرد عملية جمع مادي للنصوص، بل كان له أبعاد معنوية ودينية وثقافية تساهم في الحفاظ على نقائه كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يرتبط ارتباطًا وثيقًا جمع القرآن في العصور الأولى ضرورة ملحة لضمان عدم ضياع القرآن الكريم أو تغييره من قبل أي جهة أو فرد[10].

واختلف المسلمون في مسألة جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم، فذهب قسم كبير منهم أنه جمع في عهد الخلفاء، أي ان القرآن لم يجمع بحياة النبي الأكرم. يقول الزركشي : وإنما لم يُكتب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصحف ؛ لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت ؛ فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته، فكتب أبو بكر والصحابة بعده[11].

أما علماء الإمامية فقد اختلفوا في ذلك، فذهب السيد الخوئي[12]، إلى أن القرآن قد جمع في زمن النبي صلى الله عليه واله وسلم، فيما ذهب السيد الطباطبائي[13] إلى أن الجمع قد تم بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه واله وسلم، وإلى ذلك ذهب المستشرقون[14].

بعد وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم، بدأت تظهر بعض المشكلات المتعلقة بحفظ القرآن الكريم، لاسيما بعد استشهاد عدد من الصحابة الذين هم كانوا حفظة للقرآن في معركة اليمامة، لذا كان من الضروري أن تتم عملية جمع القرآن الكريم وتوثيقه من البداية، إذ إن القرآن كان موجودًا في صدور الصحابة، وبعضه كان مكتوبًا على الحجارة والجلود والعظام، وكان مفرقًا بين صحائف مختلفة. ولم تكن هناك نسخة واحدة موحدة من القرآن في ذلك الوقت، مما جعل الحاجة إلى جمع القرآن تزداد[15].

إن جمع القرآن – على الرأي الأغلب – بدأ لأول مرة في عهد أبي بكر، حيث طلب من زيد بن ثابت جمع ما تبقى من آيات القرآن الكريم في مصحف واحد بعد أن توفي عدد من حفظة القرآن، في هذه المرحلة، كان الهدف من جمع القرآن هو تجميع النصوص في مصحف موحد يضم جميع آيات القرآن، ومن ثمَّ المحافظة على النص كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقد تحقق ذلك من خلال جمع آيات القرآن من مصادر مختلفة، سواء كانت مكتوبة أو محفوظة في صدور الصحابة، هذا الجمع كان خطوة أساسية لضمان عدم ضياع القرآن، خاصة في ضوء الأحداث التي شهدها عهد أبي بكر من استشهاد حفظة القرآن[16].

أما في عهد عثمان بن عفان، فقد ظهرت مشكلة جديدة تتعلق بتعدد القراءات واختلافاتها بين الأمصار الإسلامية، كانت هذه القراءات قد نشأت بسبب التنوع في أساليب النطق واللفظ، مما أدى إلى حدوث بعض الاختلافات بين المسلمين في تفسير بعض الآيات[17]، فقرر عثمان جمع نسخ من القرآن وفقًا لقراءة واحدة، وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، وقد تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، وحُفظ هذا المصحف في نسخ عدة تم إرسالها إلى مكة والمدينة والكوفة وغيرها من الأمصار الإسلامية[18].

من خلال هذه العمليات، كانت فكرة "التحريف" محورًا أساسيًا في تفكير العلماء والمسلمين في تلك الفترة، كانت عمليات الجمع تهدف إلى منع أي محاولة لتحريف القرآن أو تغييره، سواء كان ذلك عن طريق إضافة نصوص جديدة أو حذف بعضها. فجمع القرآن لم يكن مجرد محاولة لتوثيق النصوص بل كان بمثابة حماية للقرآن الكريم من أي تحريف قد يطرأ عليه[19].

المفهوم الآخر المرتبط بمبادئ جمع القرآن هو أن عملية جمع القرآن كانت تهدف إلى الحفاظ على النسخة الأصلية للقرآن كما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من هذا المنطلق، كان أي تغيير أو تحريف في النصوص يمثل تهديدًا ليس فقط للمحتوى الديني، بل للهوية الإسلامية أيضًا، ولذلك، كان هذا الجمع يعد خطوة ضرورية للحفاظ على القرآن وعدم السماح لأي محاولة للتلاعب بنصوصه. أما بالنسبة لعلاقة جمع القرآن بالتحريف، فهذه العلاقة كانت محورية في عدد من النقاشات بين العلماء. فعملية جمع القرآن كان من أهم أهدافها منع التحريف، سواء كان التحريف مقصودًا أو غير مقصود[20]، التحريف المقصود كان يعني التلاعب بالنصوص لتغيير معانيها أو إضافة نصوص غير موجودة فيها، وهو ما كان يتطلب جمع القرآن في مصحف

واحد وتوثيقه بشكل دقيق، أما التحريف غير المقصود فكان يتعلق بالاختلافات في القراءات والتفسير بسبب ظروف التنقل والاختلافات اللفظية بين المناطق[21].

في السياق نفسه، يطرح البعض مسألة التحريف في القرآن في فترة ما بعد جمعه. يعتبر كثير من العلماء أن القرآن قد تم حفظه من أي تحريف بعد جمعه في المصحف العثماني، وأن النص القرآني الذي بين أيدينا اليوم هو النص نفسه الذي نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم[22]، ومن هنا، يمكن القول : إن عملية جمع القرآن قد أسهمت في منع أي تحريف قد يحدث للقرآن الكريم[23].

ويرى السيد الطباطبائي أن القرأن محفوظ بحفظ الله عن كل زيادة ونقيصة وتغيير في اللفظ، أو الترتيب يزيله عن الذكرية، ويبطل كونه ذكرا لله سبحانه بوجه[24].

إضافة إلى ذلك، يلاحظ البعض أن جمع القرآن كان له تأثيرات إيجابية على الوحدة الإسلامية، حيث ساعد على توحيد النص القرآني ووقف الاختلافات بين الأمصار الإسلامية المختلفة، من خلال هذا الجمع، أصبح المسلمون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يتبعون النصوص القرآنية نفسها، مما أدى إلى تقليل الخلافات الدينية والفكرية حول نص القرآن ولذلك، كان لمبادئ جمع القرآن أهمية كبيرة في الحفاظ على النصوص القرآنية ومنع تحريفها، وهذه المبادئ لا تقتصر فقط على الجانب الديني بل تمتد إلى جوانب فكرية وثقافية، حيث كانت عملية الجمع تمثل خطوة أساسية في الحفاظ على الهوية الإسلامية ووحدة الأمة، إن الجمع الذي تم في العصور الأولى لا يقتصر على الحفاظ على النصوص فحسب، بل يشمل أيضًا منع أي محاولات لتغيير أو تحريف القرآن في المستقبل[25].

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد تم جمعه وتوثيقه منذ العصور الأولى، إلا أن هناك بعض النقاشات المستمرة حول مفهوم التحريف في القرآن، ولكن، من خلال المبادئ التي أرساها جمع القرآن في العهدين الأول والثاني، يمكن القول: إن القرآن الكريم قد تم الحفاظ عليه من أي تحريف، سواء كان ذلك في النص أو في التفسير، ولهذا، فإن جمع القرآن كان خطوة أساسية في ضمان الحفاظ على القرآن الكريم كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. في النهاية، يمكن القول إن جمع القرآن في العصور الإسلامية المبكرة كان له دور كبير في الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية وحماية القرآن من أي محاولات للتغيير أو التحريف. كما أن الجمع كان له تأثير على الفهم التفسيري للقرآن، حيث تم توحيد القراءة والتفسير، وهو ما ساعد على تعزيز الوحدة الفكرية والدينية بين المسلمين[26].

ويعد جمع القرآن الكريم من الأحداث التاريخية المهمة التي أثّرت بعمق على الأمة الإسلامية، إذ شكّل هذا الجمع خطوة حاسمة في توثيق النص القرآني بشكل يضمن ثباته وحفظه من التحريف أو الضياع، إن مسألة التحريف كانت محطّ نقاش واسع بين العلماء والمفسرين عبر التاريخ، حيث اختلفت الآراء حول طبيعة جمع القرآن، وأثر هذا الجمع على حفظ النص القرآني من التحريف. وفي هذا المبحث، سنتناول المبادئ التي اعتمد عليها جمع القرآن وعلاقتها بقضية التحريف، مع توضيح كيفية اسهام هذه المبادئ في حفظ النص القرآني وضمان استمراريته بلا تغيير[27].

تُعد مسألة التحريف من القضايا الحساسة التي أثيرت عبر التاريخ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن القرآن الكريم محفوظ من التحريف بفضل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد حفظ الله لكتابه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[28].

أدى جمع القرآن في عهد عثمان دوراً مهماً في منع التحريف، حيث تم اعتماد نصّ واحد وقراءاته المتواترة، مما حدّ من إمكانية ظهور اختلافات بين النسخ. وقد أسهمت هذه الخطوة في توحيد الأمة الإسلامية على نصّ واحد وإغلاق الباب أمام أي محاولة للتحريف أو التغيير[29].

إن الاختلافات في القراءات وتوضيح مفهوم التحريف: بالرغم من وجود قراءات مختلفة للقرآن، إلا أن هذه الاختلافات لم تؤثر على جوهر النص القرآني أو مضمونه. فالقراءات تتعلق بطرق النطق واللهجات المختلفة، ولا تغيّر في المعاني الأساسية للآيات. وتعدّ هذه الاختلافات جزءاً من التنوع اللغوي الذي تم قبوله وتوثيقه من قبل العلماء، وهي بعيدة كل البعد عن مفهوم التحريف الذي يعني التغيير في النص أو المعنى[30].

التأكيد على الحفظ بالتواتر: يعتبر التواتر من أهم الأسس التي أسهمت في حفظ القرآن. فالتواتر يعني نقل النص عبر سلسلة غير منقطعة من الرواة الثقات الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، وقد تم توثيق القرآن بهذا الأسلوب، مما يحصنه ضد أي تحريف محتمل[31].

آراء العلماء حول جمع القرآن والتحريف

تعد مسألة جمع القرآن الكريم والتحريف من أبرز الموضوعات التي اهتم بها العلماء والمفكرين في مجال الدراسات القرآنية، فعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد جمع في العصور الإسلامية الأولى وحُفظ على نحو دقيق من خلال الاجتهادات الفقهية والتفسيرية، فإن هناك عدداً من الآراء والتفسيرات التي تناولت هذا الموضوع من زوايا مختلفة، لقد شهد جمع القرآن الكريم تطورًا كبيرًا من خلال عدة مراحل، وكان الهدف من ذلك حفظ النص القرآني من أي تحريف أو تغير قد يطرأ عليه، سواء كان ذلك عن طريق التلاعب بالنصوص أو من خلال التفسير الخاطئ، وبالرغم من الجهود المبذولة للحفاظ على القرآن الكريم من التحريف، فإن مسألة التحريف كانت ولا تزال محط نقاش بين عدد من العلماء عبر العصور[32].

إن مفهوم التحريف في القرآن الكريم يتنوع بين العلماء، فالبعض يرى أن التحريف يعني تغيير نصوص القرآن بشكل جوهري، بينما يرى آخرون أن التحريف قد يكون في معاني الآيات أو في تأويلها بما يخالف المقاصد الأصلية للنصوص. بعض العلماء يرون أن القرآن قد تعرض للتحريف، لكن ليس على مستوى النصوص نفسها، بل على مستوى التفسير والقراءات التي قد أسهمت في فهم خاطئ للنصوص القرآنية، هؤلاء العلماء يستندون إلى بعض القراءات المتعددة التي كانت موجودة في العصور الأولى، التي كانت تفضي إلى تباين في تفسير بعض الآيات. في المقابل، يرى عدد من العلماء أن القرآن الكريم قد حفظ تمامًا من التحريف، وأن النصوص التي بين أيدينا اليوم هي نفسها التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أشار بعض العلماء إلى أن فكرة التحريف قد نشأت في أوقات متأخرة، وأنه لم يحدث أي تغيير في نص القرآن منذ أن تم جمعه وتوحيده في

المصحف العثماني، هؤلاء العلماء يعتقدون أن القرآن الكريم قد تم حفظه بفضل العناية الإلهية التي تكفلت بحمايته من أي تحريف أو تغيير[33].

من جهة أخرى، نجد أن بعض العلماء قد تطرقوا إلى مسألة التحريف من منظور مختلف، ففي تفسيره لمفهوم التحريف، اعتبر بعض العلماء أن التحريف قد يشير إلى التغيير في التأويلات والتفسيرات التي قد تفضي إلى فهم خاطئ للنصوص. فقد اعتقد هؤلاء العلماء أن القرآن الكريم حفظ في نصه على نحو دقيق، ولكن يمكن أن يحدث تحريف في كيفية تفسير هذه النصوص، وهو ما يؤدي إلى ظهور تفسيرات غير صحيحة قد تُضلّ الناس عن المعنى الصحيح للنصوص القرآنية، وقد طرح بعض العلماء مسألة التحريف في القرآن من خلال مقارنة بين القراءات المختلفة للقرآن التي كانت شائعة في العصور الأولى، فعلى الرغم من أن جميع هذه القراءات تحمل المعنى الأساسي نفسه للنصوص، إلا أن اختلافات بسيطة في اللفظ قد تؤدي إلى تباين في التفسير والفهم. وقد اعتبر بعض العلماء أن هذا التباين لا يعد تحريفًا للنصوص نفسها، بل هو مجرد تنوع في أسلوب القراءة والفهم الذي لا يضر بالنص القرآني[34]، أما بالنسبة لجمع القرآن، فقد رأى العلماء أن عملية جمع القرآن كانت تهدف إلى المحافظة على النصوص القرآنية وتوثيقها في مصحف واحد موحد، ومن المعروف أن جمع القرآن تم لأول مرة في عهد أبي بكر بعد معركة اليمامة، حيث استشهد عدد كبير من حفظة القرآن، فتم جمع الآيات المكتوبة والمحفوظة في صدور الصحابة، وتوثيقها في مصحف واحد. وقد أُعيد جمع القرآن مرة أخرى في عهد عثمان بن عفان، الذي أرسل نسخًا من المصحف الموحد إلى مختلف الأمصار الإسلامية، وذلك بسبب الاختلافات في القراءات[35].

ويرى السيد الخوئي أن المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بين ايدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الاعظم صلى الله عليه واله وسلم وهو المشهور بين الامامية والمتسالم عليه بينهم[36].

وفي هذا السياق، يرى بعض العلماء أن جمع القرآن في المصحف العثماني كان بمثابة الخطوة الأساسية لضمان حفظ القرآن الكريم من أي تحريف. فقد تم جمع القرآن وفقًا لقراءة واحدة، وهو ما أسهم في توحيد النص القرآني وتقليل أي تباين في التفسير، وبذلك، أُغلقت الطريق أمام أي محاولة لتحريف القرآن أو تعديل نصوصه، يعتقد بعض العلماء أن جمع القرآن في العصور الإسلامية الأولى قد أسهم على نحو كبير في الحفاظ على وحدته ومنع أي تلاعب فيه، وكان الهدف من الجمع ليس فقط حفظ النصوص في هيئة مادية، بل التأكد من أن القرآن سيظل كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولن يتعرض لأي إضافة أو حذف، وقد أشار عدد من العلماء إلى أن هذه العملية كانت ضرورية لتوحيد الأمة الإسلامية في تفسير القرآن وفهمه، ولحماية الكتاب المقدس من أي محاولة لتحريفه[37].

في الختام، يمكن القول إن جمع القرآن الكريم كان خطوة أساسية في الحفاظ على النصوص القرآنية من أي تحريف، سواء كان ذلك تحريفًا في النصوص نفسها أو في التفسير والتأويل. وقد اجتهد العلماء في شرح

وتوضيحه معنى التحريف وسبل منعه، وكان جمع القرآن في المصحف العثماني هو الضمان الأكبر للحفاظ على نصه كاملاً دون تغيير أو تعديل.

ورغم تعدد الآراء حول مسألة التحريف، إلا أن أغلب العلماء يشيرون إلى أن القرآن قد حفظ على نحو تام ولم يتعرض لأي تغيير جوهري منذ جمعه في العصور الإسلامية الأولى، ومن جانب آخر، ركّز بعض الباحثين على أهمية جمع القرآن وسيلة لضمان التوافق على النص القرآني، حيث تم القضاء على الاختلافات اللهجية وتوحيد القراءات تحت مصحف عثمان، وقد عبّر بعض العلماء عن قلقهم من احتمال أن تكون القراءات الشاذة قد أثرت في توجيه بعض التفسيرات، إلا أن هذه القراءات لم تصل إلى حد التأثير على النص المتواتر[38].

جمع القرآن يعني توحيد الآيات والسور القرآنية في مصحف واحد جامع، ويشمل تدوين النصوص القرآنية وتوثيقها، وقد مر جمع القرآن بمراحل , بدأت بترتيب الآيات والسور في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم جمعه في عهد أبي بكر، وأخيراً توحيده وإقراره بصيغة موحدة في عهد عثمان بن عفان[39].

اعتمد جمع القرآن على عدد من المبادئ الأساسية التي هدفت إلى ضمان دقة النص القرآني وموثوقيته، ومن أبرز هذه المبادئ:

– التوثيق بشهادة الصحابة: خلال جمع القرآن في عهد أبي بكر، كان يعتمد على الصحابة الكرام الذين شهدوا نزول الآيات وعاصروا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك للتأكد من صحة النصوص وضبطها. وقد اشترط وجود شاهدين من الصحابة لكل آية تم تدوينها، مما زاد من دقة الجمع وأكد على موثوقية النص[40].

التدوين على يد كتاب الوحي: تمّ تكليف كتّاب الوحي، وخاصة زيد بن ثابت، بجمع القرآن، وكان زيد معروفًا بحفظه وإتقانه لكتابة الوحي. هذا الاعتماد على الكتبة الثقات أسهم في تحقيق نصّ دقيق وخالٍ من الأخطاء[41].

الاعتماد على القراءات المتواترة: في أثناء جمع القرآن، تم اعتماد القراءات التي نقلها الصحابة بالتواتر، وذلك لتجنب الاعتماد على القراءات الشاذة أو الفردية التي قد تحمل احتمالات التغيير أو التحريف[42].

التوحيد في مصحف واحد: عمل عثمان على توحيد الأمة الإسلامية على مصحف واحد، وأمر بحرق النسخ الأخرى التي قد تحتوي على قراءات مغايرة، هذا التوحيد أرسى دعائم الوحدة بين المسلمين ومنع التحريف في النص القرآني[43].

المبحث الثاني : جمع القرآن وعلاقته بالتحريف عند العلامة الطباطبائي

تُعد مسألة التحريف من القضايا الحساسة التي أثيرت عبر التاريخ، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على أن القرآن الكريم محفوظ من التحريف بفضل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد حفظ الله لكتابه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[44].

أدى جمع القرآن في عهد عثمان دوراً مهماً في منع التحريف، حيث تم اعتماد نصّ واحد وقراءاته المتواترة، مما حدّ من إمكانية ظهور اختلافات بين النسخ، وقد أسهمت هذه الخطوة في توحيد الأمة الإسلامية على نصّ واحد وإغلاق الباب أمام أي محاولة للتحريف أو التغيير[45].

أن الاختلافات في القراءات وتوضيح مفهوم التحريف: بالرغم من وجود قراءات مختلفة للقرآن، إلا أن هذه الاختلافات لم تؤثر على جوهر النص القرآني أو مضمونه، فالقراءات تتعلق بطرق النطق واللهجات المختلفة، ولا تغيّر في المعاني الأساسية للآيات، وتعدّ هذه الاختلافات جزءاً من التنوع اللغوي الذي تم قبوله وتوثيقه من قبل العلماء، وهي بعيدة كل البعد عن مفهوم التحريف الذي يعني التغيير في النص أو المعنى[46].

– التأكيد على الحفظ بالتواتر: يعتبر التواتر من أهم الأسس التي أسهمت في حفظ القرآن، فالتواتر يعني نقل النص عبر سلسلة غير منقطعة من الرواة الثقات الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، وقد تم توثيق القرآن بهذا الأسلوب، مما يحصنه ضد أي تحريف محتمل[47].

آراء العلماء حول جمع القرآن والتحريف

تعد مسألة جمع القرآن الكريم والتحريف من أبرز الموضوعات التي اهتم بها العلماء والمفكرين في مجال الدراسات القرآنية، فعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد جمع في العصور الإسلامية الأولى وحُفظ على نحو دقيق من خلال الاجتهادات الفقهية والتفسيرية، فإن هناك عدداً من الآراء والتفسيرات التي تناولت هذا الموضوع من زوايا مختلفة، لقد شهد جمع القرآن الكريم تطورًا كبيرًا من خلال عدة مراحل، وكان الهدف من ذلك حفظ النص القرآني من أي تحريف أو تغير قد يطرأ عليه، سواء كان ذلك عن طريق التلاعب بالنصوص أو من خلال التفسير الخاطئ، وبالرغم من الجهود المبذولة للحفاظ على القرآن الكريم من التحريف، فإن مسألة التحريف كانت ولا تزال محط نقاش بين عدد من العلماء عبر العصور[48].

إن مفهوم التحريف في القرآن الكريم يتنوع بين العلماء، فبعضهم يرى أن التحريف يعني تغيير نصوص القرآن بشكل جوهري، بينما يرى آخرون أن التحريف قد يكون في معاني الآيات أو في تأويلها بما يخالف المقاصد الأصلية للنصوص، بعض العلماء يرون أن القرآن قد تعرض للتحريف، لكن ليس على مستوى النصوص نفسها، بل على مستوى التفسير والقراءات التي قد تسهم في فهم خاطئ للنصوص القرآنية، هؤلاء العلماء يستندون إلى بعض القراءات المتعددة التي كانت موجودة في العصور الأولى، التي كانت تفضي إلى تباين في تفسير بعض الآيات. في المقابل، يرى عدد من العلماء أن القرآن الكريم قد حفظ تمامًا من التحريف، وأن النصوص التي بين أيدينا اليوم هي نفسها التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أشار بعض العلماء إلى أن فكرة التحريف قد نشأت في أوقات متأخرة، وأنه لم يحدث أي تغيير في نص القرآن منذ أن تم جمعه وتوحيده في المصحف العثماني، هؤلاء العلماء يعتقدون أن القرآن الكريم قد تم حفظه بفضل العناية الإلهية التي تكفلت بحمايته من أي تحريف أو تغيير[49].

يمكن القول إن بعض العلماء قد تطرقوا إلى مسألة التحريف من منظور مختلف، ففي تفاسيرهم لمفهوم التحريف، اعتبر بعض العلماء أن التحريف قد يشير إلى التغيير في التأويلات والتفسيرات التي قد تفضي إلى فهم خاطئ للنصوص. فقد اعتقد هؤلاء العلماء أن القرآن الكريم حفظ في نصه على نحو دقيق، ولكن يمكن أن يحدث تحريف في كيفية تفسير هذه النصوص، وهو ما يؤدي إلى ظهور تفسيرات غير صحيحة قد تُضلّ الناس عن المعنى الصحيح للنصوص القرآنية.

وقد طرح بعض العلماء مسألة التحريف في القرآن من خلال مقارنة بين القراءات المختلفة للقرآن التي كانت شائعة في العصور الأولى، فعلى الرغم من أن جميع هذه القراءات تحمل المعنى الأساس نفسه للنصوص، إلا أن اختلافات بسيطة في اللفظ قد تؤدي إلى تباين في التفسير والفهم، وقد اعتبر بعض العلماء أن هذا التباين لا يعد تحريفًا للنصوص نفسها، بل هو مجرد تنوع في أسلوب القراءة والفهم الذي لا يضر بالنص القرآني[50]، أما بالنسبة لجمع القرآن، فقد رأى العلماء أن عملية جمع القرآن كانت تهدف إلى المحافظة على النصوص القرآنية وتوثيقها في مصحف واحد موحد، ومن المعروف أن جمع القرآن تم لأول مرة في عهد أبي بكر بعد معركة اليمامة، حيث استشهد عدد كبير من حفظة القرآن، فتم جمع الآيات المكتوبة والمحفوظة في صدور الصحابة، وتوثيقها في مصحف واحد، وقد أُعيد جمع القرآن مرة أخرى في عهد عثمان بن عفان، الذي أرسل نسخًا من المصحف الموحد إلى مختلف الأمصار الإسلامية، وذلك بسبب الاختلافات في القراءات[51].

وفي هذا السياق، يرى بعض العلماء أن جمع القرآن في المصحف العثماني كان بمثابة الخطوة الأساس لضمان حفظ القرآن الكريم من أي تحريف، فقد تم جمع القرآن وفقًا لقراءة واحدة، وهو ما أسهم في توحيد النص القرآني وتقليل أي تباين في التفسير، وبذلك، أُغلقت الطريق أمام أي محاولة لتحريف القرآن أو تعديل نصوصه، يعتقد بعض العلماء أن جمع القرآن في العصور الإسلامية الأولى قد أسهم على نحو كبير في الحفاظ على وحدته ومنع أي تلاعب فيه. وكان الهدف من الجمع ليس فقط حفظ النصوص في شكل مادي، بل أيضًا التأكد من أن القرآن سيظل كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولن يتعرض لأي إضافة أو حذف، وقد أشار عدد من العلماء إلى أن هذه العملية كانت ضرورية لتوحيد الأمة الإسلامية في تفسير القرآن وفهمه، ولحماية الكتاب المقدس من أي محاولة لتحريفه[52].

أما بالنسبة للآراء الحديثة حول جمع القرآن والتحريف، فقد تباينت أيضًا، فبعض العلماء المعاصرين يرون أن جمع القرآن قد تعرض لبعض التغييرات على مر العصور، خاصة في ما يتعلق بالقراءات والتفسير، لكن في النهاية، فإن الأغلبية العظمى من العلماء لا تجد أي دليل قوي على وجود تحريف حقيقي في القرآن الكريم، فهم يعتقدون أن القرآن قد حفظ من التحريف بفضل الله تعالى، وأن أي اختلاف في القراءات أو التفسير لا يتعدى حدود التنوع في الفهم، وليس له تأثير على النص القرآني ذاته[53].

في الختام، يمكن القول إن جمع القرآن الكريم كان خطوة أساس في الحفاظ على النصوص القرآنية من أي تحريف، سواء كان ذلك تحريفًا في النصوص نفسها أو في التفسير والتأويل، وقد اجتهد العلماء في شرح معنى التحريف وسبل منعه، وكان جمع القرآن في المصحف العثماني هو الضمان الأكبر للحفاظ على نصه كاملاً دون تغيير أو تعديل، ورغم تعدد الآراء حول مسألة التحريف، إلا أن أغلب العلماء يشيرون إلى أن القرآن قد حفظ على نحو تام ولم يتعرض لأي تغيير جوهري منذ جمعه في العصور الإسلامية الأولى، ومن جانب آخر، ركّز بعض الباحثين على أهمية جمع القرآن كوسيلة لضمان التوافق على النص القرآني، حيث تم القضاء على الاختلافات اللهجية وتوحيد القراءات تحت مصحف عثمان، وقد عبّر بعض العلماء عن قلقهم من احتمال أن

تكون القراءات الشاذة قد أثرت في توجيه بعض التفسيرات، إلا أن هذه القراءات لم تصل إلى حد التأثير على النص المتواتر.

مبادئ جمع القرآن عند العلامة الطباطبائي هي موضوع في غاية الأهمية يتناول كيفية جمع القرآن الكريم بحسب المفهوم الذي طرحه العلامة الطباطبائي"، حيث يمكن القول : إن جمع القرآن عند الطباطبائي لا يقتصر على جمع الآيات وتوحيد النصوص بل يتضمن العديد من المبادئ التي تتعلق بكيفية تفسير القرآن، وكيفية قراءته على مر العصور، يضع الطباطبائي الكثير من الأسس التي تُظهِر كيف أن القرآن الكريم قد جمع بطريقة متكاملة ضمن أطر دينية وفلسفية، حيث يربط جمع القرآن بفهم عميق للسياق الزماني والمكاني الذي نزل فيه[54]، تبدأ المبادئ التي يعرضها الطباطبائي في مسألة جمع القرآن من مسألة معرفة السورة والآية، إذ يعتبر الطباطبائي أن القرآن الكريم نزل في فترات متفاوتة حسب الظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية، وهكذا فإن جمع القرآن يتطلب معرفة توقيت نزول الآيات والسور، بالإضافة إلى فهم الحِكمة وراء كل آية وكيفية جمعها في وقت لاحق ضمن سياق واحد، يذهب الطباطبائي إلى أن جمع القرآن هو بمثابة تنظيم للآيات والسور التي تم نزلها في فترات متفرقة وبحسب الأحداث المختلفة التي شهدها المسلمون، ولذلك، ليس فقط جمع الآيات النصية في مصحف واحد هو الموضوع الذي يتحدث عنه، بل هو أيضًا جمع الحكمة الإلهية التي عبرت عنها الآيات في ضوء الحقائق الزمنية والمكانية[55]، وفي هذا السياق، فإن كل آية وسورة تعتبر جزءاً من منظومة منسجمة تعكس الحكمة الربانية، العلامة الطباطبائي يميز في تفسيره بين القرآن كمحتوى ثابت لا يتغير وبين كيفية تفسيره وتأويله التي قد تختلف وفقًا للظروف، وهذا الاختلاف في التأويل أو الفهم لا يجب أن يغير من أصل النص القرآني بل هو يمثل تجليات ذلك النص في سياقات تاريخية ومعرفية متنوعة، لذا، يعتبر الطباطبائي أن جمع القرآن لا يتعلق فقط بتوحيد النصوص بل أيضًا بتوحيد الفهم والتفسير في أطر معينة، في هذا السياق، يرى الطباطبائي أن جمع القرآن كان عملية دينية وعلمية تهدف إلى ترتيب الآيات والسور بحيث يمكن للمجتمع الإسلامي أن يستفيد منها ضمن سياق زمني ومكاني محدد، يقول الطباطبائي في تفسيره : إن القرآن لا ينفصل عن أحداث الحياة اليومية للمسلمين ولا عن التجارب التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية، وبهذا المعنى، فإن جمع القرآن لا يعني فقط تجميع نصوص كانت متناثرة، بل هو أيضًا تجميع للرؤية الإلهية التي تبين للناس كيف يعيشون دينهم في ضوء تلك النصوص[56].

إحدى المبادئ الأساسية التي ينطلق منها الطباطبائي في تفسيره لفكرة جمع القرآن هي أن القرآن في جوهره لا يُمكن تحريفه أو تغييره، بل هو محفوظ بإرادة إلهية، وهذا يتماشى مع نظريته في تفسير القرآن التي تؤكد على أن النص القرآني هو معصوم من التحريف والتغيير، بل إن جمع القرآن كان عملية تهدف إلى الحفاظ على النصوص كما نزلت، وأن أي تحريف أو تغيير قد يحدث هو في فترات لاحقة نتيجة لتفسير خاطئ أو فهم مغلوط للآيات[57]، الطرائق التي استخدمها الطباطبائي في فهم جمع القرآن قد أظهرت أيضًا كيف أن القرآن ليس مجرد كتاب مُنزل من السماء بل هو كتاب يتفاعل مع الواقع الزمني والاجتماعي، وفي هذا السياق، يرى الطباطبائي أن جمع القرآن هو عملية تتعدى تجميع النصوص فقط، إذ إنه يشمل أيضًا فهم تلك النصوص وكيفية تطبيقها في

حياة الناس في أوقات مختلفة. فالآيات القرآنية ليست مجرد تعليمات جامدة بل هي آيات تتفاعل مع متغيرات الحياة وتستجيب للظروف الاجتماعية والسياسية، من جهة أخرى، يتطرق الطباطبائي في تفسيره إلى معضلة تأويل القرآن وكيف أن التأويل يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية التي نزل فيها القرآن[58]، وهذا الفهم يرتبط على نحو وثيق بمفهوم جمع القرآن، لأن جمع القرآن لا يعنى فقط جمع النصوص بل أيضًا جمع المعاني التي قد تتفاوت في تفسيرها حسب الزمان والمكان، يقول الطباطبائي إن هذه العملية كانت تهدف إلى حفظ القرآن في أتم صورة ممكنة بحيث يعكس التفسير العميق الذي يتناسب مع تغيرات الزمان، بالنسبة للعلامة الطباطبائي، فإن جمع القرآن لا يرتبط فقط بالآيات التي كانت موجودة في العصور الأولى من الإسلام، بل يتضمن أيضًا كيفية فهم القرآن في السياقات المستقبلية، فهو يرى أن القرآن يجب أن يكون قابلًا للفهم في كل زمان ومكان، وهو ما يدعمه من خلال دعوته إلى تفسير القرآن وفقًا للظروف الراهنة، وهذا يظهر من خلال تفسيره للأحكام والآيات التي تتعامل مع الأوضاع الاجتماعية والسياسية المختلفة في الزمن الحاضر، من خلال هذا التصور، نرى أن جمع القرآن في فكر العلامة الطباطبائي لا يقتصر على مجرد جمع النصوص، بل هو أيضًا جمع للفهم الدقيق والواقعي للنصوص بحيث يتناسب مع تطورات الزمان والمكان، ومن هنا، فإن الطباطبائي يذهب إلى أن القرآن لا يمكن أن يكون ثابتًا بشكل جامد أو معزول عن الواقع، بل يجب أن يظل حيًا في تفسيره وتأويله مع مرور الوقت[59].

في الختام، يمكن القول إن الطباطبائي كان يربط جمع القرآن بفكرة توحيد الفهم القرآني في إطار زمني ومكاني معين، ويؤكد على ضرورة فهم القرآن في سياقه التاريخي والاجتماعي، ومن ثم يعتبر جمع القرآن من وجهة نظره ليس مجرد عملية تقنية، بل هو عملية علمية ودينية تهدف إلى الحفاظ على معنى القرآن وتوجيهاته في ظل التغيرات المستمرة في واقع الأمة الإسلامية، ويُعدُّ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي أحد أبرز المفسرين المعاصرين في الفكر الإسلامي، وقد قدّم رؤى متميزة حول جمع القرآن الكريم في تفسيره الشهير "الميزان في تفسير القرآن"، يعتبر الطباطبائي من العلماء الذين اتبعوا منهجًا عقليًا وتحليليًا في تفسير القرآن، حيث تناول جمع القرآن كموضوع محوري ورأى فيه ضرورة أساسية لضمان استمرارية النص القرآني وثباته، مبينًا أن هذا الجمع لم يكن مجرد عملية مادية لحفظ النص، بل هو عملية تحمل في طياتها أبعادًا دينية وعقائدية عميقة. في هذا المبحث، سنتناول المبادئ الأساسية التي طرحها الطباطبائي في مسألة جمع القرآن.

مبدأ التواتر ودوره في جمع القرآن

مبدأ التواتر هو من المبادئ الأساسية التي تم تناولها في دراسة جمع القرآن الكريم، ويمثل أحد المفاهيم المحورية التي تسهم في فهم كيفية حفظ القرآن وتوثيقه، التواتر يشير إلى النقل الجماعي للخبر من جيل إلى جيل، بحيث لا يُمكن أن يتواطأ مجموعة من الناس على الكذب في تلك المسألة، في حالة القرآن الكريم، التواتر هو الذي حافظ على النص القرآني من التحريف أو التغيير، وجعل من هذا النص كتابًا محفوظًا عبر العصور، إن القرآن الكريم قد نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مدار 23 عامًا، وكان يتلوه النبي على الصحابة، الذين حفظوه وكتبوه في مصاحف مختلفة، ورغم أن القرآن نزل مفرّقًا، إلا أن التواتر هو الذي جمع تلك

الآيات والسور بشكل متماسك وأدى إلى حفظ القرآن في جميع تفاصيله دون أن يُمَسّ منه شيء، من هنا يظهر دور التواتر في جمع القرآن؛ حيث أن جميع الصحابة قد تلقّوا القرآن بنفس الطريقة، وتوالت أجيال الأمة الإسلامية على نقل هذا الكتاب المقدس بنفس الطريقة، مما يضمن عدم تحريفه، العلامة الطباطبائي في تفسيره "الميزان في تفسير القرآن" يبرز دور التواتر في جمع القرآن كمبدأ أساسي، فهو يبيّن أن القرآن الكريم قد حفظ بواسطة التواتر من خلال شهادة الجيل الأول من الصحابة، الذين نقلوا القرآن شفاهاً، ثم نقلوه كتابيًا مع بداية جمع المصحف بعد وفاة النبي، التواتر في هذه الحالة لم يكن مجرد نقل للكلمات، بل كان نقلًا للمعاني والآيات بشكل دقيق مما جعله يبقى محفوظًا في مضمونه(60).

من أبرز المسائل التي تناولها الطباطبائي في تفسيره هي كيفية توثيق القرآن الكريم عبر التواتر، يرى الطباطبائي أن القرآن الكريم قد جاء من مصدر واحد، وهو الله عز وجل، وأنه لا مجال لاختلاف الروايات حول نص القرآن بسبب التواتر الذي جمع بين الصحابة في نقل آياته، كما أنه يذكر أنه رغم تنوع طرق نقل القرآن (من خلال القراءة الشفهية والكتابة) فإن التواتر قد حافظ على النص من التحريف، وأن القرآن نزل بلغة عربية صحيحة ودقيقة لا مجال لأي شك في صحتها، ويذكر الطباطبائي كذلك أن التواتر يشمل النقل الشفهي والتدوين في آن واحد، ففي زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان القرآن يُتلى على الصحابة، وكان البعض منهم يحفظه والبعض الآخر يكتبون ما يتلوه النبي، ثم في عصر أبي بكر، عندما أمر بجمع القرآن في مصحف واحد، كان هذا الجمع قد استند بشكل أساسي إلى ما تم حفظه من قبل الصحابة الذين تلقوا القرآن مباشرة من النبي(61)، بالإضافة إلى ذلك، يذهب الطباطبائي إلى أن القرآن الكريم كان محصّنًا من التحريف بفضل التواتر، فبما أن القرآن قد نزل في أوقات وأماكن مختلفة وكان الصحابة يعيشون في بيئات متعددة، فإن التواتر لم يقتصر على نقل الآيات في المدينة فقط بل انتشر في مختلف المناطق الإسلامية، ولذا فإن القرآن لم يكن يمكن أن يُحرف أو يُغير بأي حال من الأحوال، لأن عملية نقله كانت محكومة بقواعد صارمة تتعلق بالتواتر، وهو ما يضمن استحالة حدوث أي تحريف في النصوص، من ناحية أخرى، يرى الطباطبائي أن مبدأ التواتر يثبت صحة القرآن ويعزز من مصداقيته، حيث يشير إلى أن القرآن قد وصلنا من خلال سلسلة متواصلة من النقل الموثوق، لا يمكن أن يكون فيها كذب أو تلاعب، وعليه، فإن النصوص القرآنية الموجودة في المصاحف هي النصوص نفسها التي قرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة، وهذا يثبت أن القرآن قد تم جمعه وحفظه بشكل دقيق للغاية(62).

أما في ما يتعلق بجمع القرآن، فقد كان دور التواتر في مرحلة الجمع محوريًا. فعندما أمر أبو بكر بجمع القرآن في مصحف واحد بعد معركة اليمامة، كان الصحابة الذين شاركوا في جمع القرآن يتلقون آياته عبر التواتر المتواصل بين الأجيال، كما أن جمع القرآن لم يكن مقتصرًا فقط على الحفظ، بل كان يشمل أيضًا التأكد من أن ما جمعه الصحابة هو نفسه الذي نزل على النبي من خلال شهادات الصحابة الذين حفظوا الآيات أو كتبوا الوحي أثناء نزوله، التواتر لا يعني فقط الحفظ الشفهي أو الكتابي فحسب، بل هو أيضًا ضمان أن القرآن لن يتعرض للزيادة أو النقصان، وهذا يظهر من خلال استحالة أن يتواطأ عدد كبير من الصحابة الذين حفظوا القرآن

على تغيير نصه أو إلحاق آيات زائفة به، يقول الطباطبائي في تفسيره إن القرآن الكريم معصوم من التحريف بفضل هذه الشبكة الواسعة من الرواة الذين نقلوه[63].

ويمكن القول إن مبدأ التواتر هو حجر الزاوية الذي استندت إليه عملية جمع القرآن الكريم، فبدون التواتر، لما كان من الممكن الحفاظ على نص القرآن كما هو، ولما كان من الممكن جمعه في مصحف واحد على نحو متماسك. وقد أظهر التواتر أن القرآن الكريم، كما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، محفوظ من كل تحريف أو تغيير، وهذا التواتر قد ضم كل الشهادات التي شهد بها الصحابة من أجل ضمان أن القرآن الذي نقرأه اليوم هو القرآن نفسه الذي نزل على النبي قبل أكثر من 1400 عام. يؤكد الطباطبائي على أن تواتر النص القرآني كان الوسيلة الأساسية التي ضمنت ثبات القرآن وسلامته من التحريف، حيث يرى أن القرآن قد نقل عن طريق عدد هائل من الصحابة والتابعين، وبما أنه كان متواترًا بينهم، فإن إمكانية حدوث التحريف أو التلاعب بالنص القرآني تصبح مستحيلة.

يرى الطباطبائي أيضًا أن تواتر النص القرآني يشمل تواتر الألفاظ والمعاني على حد سواء، حيث إن المعنى واللفظ كليهما يشكلان النص القرآني في صورته الكاملة. ويعتبر الطباطبائي هذا التواتر دليلاً قويًا على حفظ الله للقرآن من التحريف، مستشهداً بالآية الكريمة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"[64]، وهذا ما استند عليه السيد الطبطبائي[65].

الخاتمة

1- اختلف المسلمون في مسألة جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم، فذهب أغلب المسلمين إلى أن عملية الجمع تمت في عهد الخلفاء، وإلى ذلك ذهب المستشرقون.
2- يرى السيد الطباطبائي أن جمع القرآن حدث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
3- إذا اختلف المسلمون في جمع القرآن الكريم، إلا أنهم اتفقوا على صيانته من التحريف.
4- يرى الطباطبائي أن نقل القرآن بالتواتر إحدى دلائل عدم التحريف.
5- إن القرآن لا يمكن أن يكون ثابتًا بشكل جامد أو معزول عن الواقع، بل يجب أن يظل حيًا في تفسيره وتأويله مع مرور الوقت.
6- إن جمع القرآن كان خطوةً تاريخيةً عظيمة أسهمت في حفظ النص القرآني من التحريف، حيث ارتكز على مبادئ ثابتة تمثلت في التوثيق والاعتماد على القراءات المتواترة والتوحيد في مصحف واحد.
7- وقد أثمرت هذه الجهود في تأسيس قاعدة قوية لحفظ القرآن وضمان استمراريته، وأكدت الدراسات التاريخية أن القرآن قد نُقل إلينا كما هو دون تحريف، وأن هذا الحفظ تحقق بفضل توحيد النص واعتماده على قواعد ثابتة تمنع أي تغيير أو تلاعب.

الهوامش:

(1) الحكيم رياض، الوجيز في علوم القرآن، ص 69 ط3، مطبعة نار نجستان، قم.

(2) البغدادي، الفقيه والمتفقه، ص105، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1996.

(3) ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، ص 32، بيروت: دار الكتب العلمية.

(4) السيوطي، المصدر السابق، ص 67.

(5) البغوي ابو محمد الحسين بن مسعود، ص160، دار بن حزم للطباعة، مكة المكرمة.

(6) ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال، بغداد، ص 256.

(7) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج 92، مؤسسة الاميرة، بيروت ص48.

(8)الكلبي، محمد بن احمد، 2018، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1،ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.، ص122.

(9) السيوطي، جلال الدين.(2005). تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث، ص166.

(10) الكلبي المصدر السابق: ص123

(11)الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج1، دار المعرفة بيروت، ص 262.

(12) ابو القاسم الخوئيالمصدر السابق، ص 252.

(13) الطباطبائي، محمد حسين.(1997). الميزان في تفسير القرآن. دار إحياء الكتب العربية. ج12، ص 120.

(14) نولدكه، 2007، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، بيروت، دار الجمل.ص240.

(15) الصغير محمد حسن، تاريخ القرأن، دار الحكمة للطباعة والنشر، بيروت، ص65.

(16) السيوطي، جلال الدين.(2005). تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث، ج 1، ص57

(17)الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص 24، دار المعارف، القاهرة.

(18) الزنجاني، ابو عبد الله، تاريخ القران، ص 66، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

(19) الزرقاني، عبد الله، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص239، دار إحياء التراث العربي.

(20) الاصفهاني، محمود، مختصر التمهيد، ص 65، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، بيروت.

(21) السيوطي المصدر السابق، ص57

(22) الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص 51.

(23) الصغير المصدر السابق، ص 68

(24)الطباطبائي، المصدر السابق، ص 101.

(25) القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، ص95، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(26) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص66، مكتبة وهبة، القاهرة.

(27) الصغير المصدر السابق، ص 66.

(28) الحجر/ 9

(29) الزركشي : المصدر السابق، ص 239.

(30) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم. ص 65،: دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.

(31) النيسابوري، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ص 90، دار الكتب العلمية، بيروت

(32) القطان، المصدر السابق، ص55.

(33) صبحي المصدر السابق، ص75.
(34) نصر الله، وفاء، دروس في علوم القرآن، ص97، مركز نون، بيروت.
(35) الخوئي، المصدر السابق، ص216.
(36) صبحي المصدر السابق، ص75.
(37) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ص 55، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
(38) عتر، ضياء الدين، الاحرف السبعة، ص272، دار البشائر الاسلامية، بيروت.
(39) المقدسي، أبو شامة،المرشد الوجيز المقدسي، ص 96، دار الكتاب العلمية، بيروت.
(40) ابن الجزري، المصدر السابق، ص 32.
(41) السيوطي، المصدر السابق، ص 67.
(42) البغوي، المصدر السابق، ص160.
(43) الحجر/ 9
(44). خضر، عبد الله، الكفاية بالتفسير بالمأثور والدراية، ج1، ص 69، دار القلم، بيروت.
(45) ابن كثير، المصدر السابق، ص.65
(47) النيسابوري، المصدر السابق، ص 90.
(48) القطان، المصدر السابق، ص55.
(49) صبحي، المصدر السابق، ص75.
(50) الزرقاني، المصدر السابق، ص 106
(51) الخوئي، المصدر السابق، ص216.
(52) صبحي، المصدر السابق، ص75
(53) الطبرسي، المصدر السابق، ص 55
(54) الطباط بائي، المصدر السابق، 152- 154.
(55) صبحي، المصدر السابق، ص 76.
(56) الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص 37.
(57) الطبرسي، المصدر السابق، ص 56.
(58) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ج1، ص 37
(59) الخوئي، المصدر السابق، ص34
(60) الزرقاني، المصدر السابق، ص 107.
(61) صبحي، المصدر السابق، ص 77.
(62). الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص37
(63) النيسابوري، المصدر السابق، ص 37
(64) الحجر/ 9
(65) الطباطبائي، المصدر السابق، ج1، ص 37.

المصادر والمراجع

(1) ابو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، مطبعة العمال، بغداد.
(2) ابن الجزري، محمد بن محمد.(2002). النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
(3) مكارم الشيرازي، ناصر.(2001). تفسير الامثل. بيروت: دار الأمين.
(4) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
(5) النمر علي تيسير، علوم القرآن، مركز النمر للبحث العلمي مكة المكرمة.
(6) لبغوي ابو محمد الحسين بن مسعود، دار بن حزم للطباعة، مكة المكرمة.
(7) الحكيم رياض، الوجيز في علوم القرآن، ط3، 1439 ق، مطبعة نار نجستان، قم.
(8) الزرقاني، عبد الله.(1983). مناهل العرفان في علوم القرآن. دار إحياء التراث العربي.
(9) الزنجاني، ابو عبد الله، 2012، تاريخ القران، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
(10) السيوطي، جلال الدين.(2005). تفسير الجلالين. القاهرة: دار الحديث.
(11) الصغير محمد حسن، تاريخ القرأن، دار الحكمة للطباعة والنشر، بيروت.
(12) الطباطبائي، محمد حسين.(1997). الميزان في تفسير القرآن. دار إحياء الكتب العربية.
(13) الطبرسي، الفضل بن الحسن.(2003). مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
(14) – القطان، مناع.(1981). مباحث في علوم القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.5
(15)الكلبي، محمد بن احمد، 2018، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1،ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
(16) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج 92، مؤسسة الاميرة، بيروت.
(17) المقدسي، شهاب الدين أبو شامة : المرشد الوجيز، دار الكتاب العلمية، بيروت.
(18) النيسابوري، الفخر الرازي.(2000). مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية.
(19) خضر، عبد الله، 1917، الكفاية بالتفسير بالمأثور والدراية، ج1، بيروت، دار القلم.
(20) صبحي، الصالح، مباحث في علوم القرآن، القاهرة، مكتبة وهبة.
(21) عتر، ضياء الدين، 1988، الاحرف السبعة، بيروت، دار البشائر الاسلامية.
(22) نصر الله، وفاء، 2014، دروس في علوم القرآن، بيروت، مركز نون.
(23) الصغير محمد حسن، تاريخ القرأن، دار الحكمة للطباعة والنشر، بيروت.
(24) الاصفهاني، محمود، 2014، مختصر التمهيد، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة.
(25) نولدكه، 2007، تاريخ القرآن، ترجمة جورج تامر، بيروت، دار الجمل.
(26) الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج1، دار المعرفة بيروت.
(27) البغدادي، الفقيه والمتفقه، ص105، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1996.